



المرأة في الرواية العربية المعاصرة - قراءة في التمثيلات الاجتماعية -
رواية "الوجه العاري للمرأة العربية" لنوال السعداوي أنموذجاً

The Linguistic Lesson in Europe: the Linguistics of de Saussure as a Model

عبد الله محمد هلال العنزي¹ حبيب بوهرور²

¹ جامعة الكويت (الكويت)، abdullah.alenezi@grad.ku.edu.kw

² جامعة الكويت (لكويت)، habib.bouherour@ku.edu.kw

ملخص:

أصبح حضور المرأة في الرواية المعاصرة أمراً ملفتاً، ومثيراً للجدل، خاصة مع تنوع صور المرأة وتباينها في الرواية العربية المعاصرة، ولأنَّ المرأة وقضاياها أصبحت أمراً يشغل الكتاب والكاتبات بشكل طاعٍ ومثير للبحث والاهتمام، ولقد وجد الباحث أن التركيز على التمثيلات الاجتماعية للمرأة أمراً لا حصر له، وفي غاية الأهمية وأكثر الروايات المعاصرة اهتماماً وانشغالاً بالمرأة وصورها وقضاياها، هي الروايات التي تنتمي للأدب النسوي، ومن ثمَّ فمن خلال بحثي الموسوم بـ: "صورة المرأة في الرواية العربية المعاصرة - قراءة في التمثيلات الاجتماعية" .. والذي اعتمدت فيه على أحد الأعمال الأدبية النسوية المعاصرة، وهو: رواية "الوجه العاري للمرأة العربية" للكاتبة "نوال السعداوي"، ولعلَّ سبب اعتمادنا على ذلك النموذج بشكل أساسي هو أن المرأة خير مرجع للمرأة.. فنحاول من خلال الكاتبة أن نقرب من ثنائية الأنا والآخر لديها، لننظر من كُتِبَ ومن خلال العبور من فوهة السرد إلى باطن (الأنا) المرأة، وإدراكها للآخر (الرجل)، وإدراكها لإدراك الآخر لها.

كلمات مفتاحية: صورة المرأة، صورولوجيا، تمثيلات اجتماعية، رواية معاصرة

Summary:

The presence of women in the contemporary novel has become striking and controversial, especially with the diversity and variation in the images of women in the contemporary Arabic novel. Because women and their issues have become a matter that preoccupies writers, both male and female, in an overwhelming way and is a subject of research and interest, the researcher found that the focus on the social representations of women is limitless and extremely important. The most contemporary novels concerned with and preoccupied with women, their images, and their issues are the novels that belong to feminist literature. Hence, through my research entitled: "The Image of Women in the Contemporary Arabic Novel - A Reading of Social Representations," in which I relied on one of the contemporary feminist literary works, namely the novel "The Naked Face of the Arab Woman" by the writer Nawal El Saadaoui, perhaps the reason for our reliance on this model primarily is that a woman is the best reference for another woman. Through the writer, we try to approach the duality of self and other in her, to look closely and by passing through the mouth of the narrative to the interior of the (self) of the woman, her perception of the other (man), and her perception of the other's perception of her.

Keywords: Women's image, sociology of images, social representations, contemporary novel

1. مقدمة :

تُعَدُّ صورة المرأة في الرواية العربية المعاصرة من أكثر القضايا الأدبية والنقدية التي شغلت المفكرين والباحثين والروائيين على حدٍ سواء، إذ تمثل المرأة بوجودها الإنساني والاجتماعي والفكري أحد أبرز المكونات التي شكّلت وعي المجتمع العربي ووجهت مساراته الثقافية والفكرية. فالمرأة ليست مجرد عنصر مكمل في البناء السردى أو مكون ثانوي في النص الأدبي، بل هي رمز يعكس بنية المجتمع بأكملها، ويجسّد منظومة القيم والمعايير التي تحدّد موقعها في هذا العالم، ومدى ما تحظى به من حضور وفاعلية. ومن هنا، فإنّ تناول صورة المرأة في الرواية العربية لا يُعدّ مجرد رصدٍ في الملامح الشخصية النسوية، بل هو دراسة معمّقة للبنية الثقافية والاجتماعية التي أنتجت هذه الصورة وأسهمت في تشكيلها. في روايتها «الوجه العاري للمرأة العربية»، تقدّم السعداوي نموذجًا صارخًا لتفكّك العلاقة بين الأنا والآخر، إذ تكشف عن عمق المأساة النفسية والاجتماعية التي تعيشها المرأة

في مجتمع تحكمه السلطة الذكورية، وتسوده المعايير المزدوجة التي تضع المراة دائماً في موقع المتهم أو التابع.

إن مشكلة البحث تتمثل في محاولة الكشف عن التمثيلات الاجتماعية لصورة المراة في الرواية العربية المعاصرة، من خلال تحليل النص السردى عند نوال السعداوي، واستجلاء الطريقة التي صوّرت بها المراة ذاتها والآخر الرجل، وكيف عبّرت عن صراعاها الداخلى والخارجى في مجتمع يفرض عليها أدواراً محددة وبقيد حريتها في التعبير.

ويهدف هذا البحث إلى تحديد كيفية بناء الصورة النسوية في المتخيل السردى، والكشف عن الآليات الفنية والدلالية التي استخدمتها الكاتبة في صياغة خطابها الأدبي النسوي، بما يتضمّنه من رموز وإيحاءات ومعاني نفسية واجتماعية.

وتكمن أهمية هذا البحث في أنّه يسعى إلى تجاوز القراءات التقليدية التي تناولت صورة المراة في الأدب العربى من منظور وصفى أو أخلاقى، إلى قراءة تحليلية نقدية تسعى إلى فهم العلاقة الجدلية بين النص والمجتمع. فالمراة في الرواية ليست كائناً معزولاً، بل هي نتاج سياقات اجتماعية وثقافية واقتصادية معقدة، تتفاعل فيما بينها لتشكّل صورة المراة في الوعي الجمعي. ومن هنا، فإنّ تحليل هذه الصورة يسهم في فهم طبيعة التحولات التي شهدتها المجتمع العربى في رؤيته للمراة، ويكشف عن مدى تطوّر الوعي النسوي في الخطاب الأدبي العربى.

يعتمد هذا البحث على منهج تحليلي وصفى، ينطلق من تحليل النصوص السردية بوصفها مرآة للواقع الاجتماعي، مع توظيف المقاربات السيميائية والسيكولوجية لفهم العلاقة بين الأنا والأنثى والآخر الذكر، واستجلاء الرموز والإشارات التي تعبّر عن الصراع بينهما داخل النص الروائي. كما يستند البحث إلى الإطار النظري للأدب النسوي، الذي يسعى إلى تفكيك خطاب السلطة الذكورية، وإبراز صوت المراة كذات فاعلة قادرة على إنتاج المعرفة وتحدي الهيمنة الثقافية.

إنّ دراسة صورة المراة في الرواية العربية المعاصرة تتيح أيضاً استكشاف التحوّل في وعي الكاتبات العربيات تجاه ذواتهن ومجتمعاتهن، وكيف استخدمن السرد كوسيلة للتعبير والتمرد والتغيير فالرواية لم تعد وسيلة للتسلية فحسب، بل أصبحت أداة فكرية لكشف

المسكوت عنه ومساءلة الواقع ومن هذا المنطلق، فإنّ هذا البحث يسعى إلى الإسهام في إثراء الدراسات الأدبية النسوية، وإبراز الدور الذي تلعبه المرأة الكاتبة في إعادة تشكيل الخطاب الثقافي العربي.

المبحث الاول: صورولوجيا الرجل والمرأة في رواية الوجه العاري للمرأة العربية

مدخل:

إن الإنسان لا يمكنه رؤية ذاته وفهم أنيته إلا بالنظر إلى الآخر أو الغير، وإننا نجد في القضايا النسوية التي يتخلق حولها الأدب النسوي سيميائية متصلة، في محاولة المرور إلى الذات، من خلال المرور من الآخر، فنجد أهمية كبيرة في استكشاف عقلية النص، وإن كنا نبحث عن صورة المرأة، ونحاول استيضاح صورولوجيا المرأة عند الرجل؛ فعلى أن نعرف أولاً ماهية الرجل في وعي المرأة، من خلال استقراء روافد فكرها مما كتبت، ومن ثم نرى ماهية المرأة في وعي الرجل، من جهة حكم المرأة، وعلى أن نعي أن الوسيط الذي يشف لنا صورة المرأة من منظور الرجل هو (امرأة)؛ ولذا فليس بالضرورة أن يُصدّق على كلامها ومحاولتها الكاشفة والتصويرية؛ لأنها قد تكون غامضة أكثر من غموض الحقيقة.

أولاً: صورولوجيا الرجل (الآخر) عند المرأة (الأنا):

إذا قمنا بتحليل السرد لدى الكاتبة تحليلًا سيكولوجيًا⁽³⁾ لنقارب طبيعة الخلاف الذي بيّنه السرد بين الأنا (المرأة) والآخر (الرجل)، فسوف تواجهنا على الفور إشكالية (السيطرة)، فصورة الآخر (الرجل) عند أنا (المرأة) أنه المحب للسيطرة والاستعلاء والقوة؛ ولذا نجد أنها كانت على خلاف مع الشخصيات التي تحاول أن تفرض تلك السيطرة الذكورية، كما هو في الشخصيات التالي ذكرها:

1. شخصية الأخ:

نلمح أنه أول تجلٍ لصورة الآخر في عباءة الذكورة التي تقاومها الأنا، وإن كان ظهوراً مبكراً، إلا أنه يشكل بعداً سيكولوجياً نفسياً في غاية الأهمية بالنسبة للأنا؛ فقد ظهر ذلك في مرحلة طفولة البطلة الساردة، مما يعني أن ذلك، وإن كان أمراً بسيطاً، إلا أنها أعطته جانباً كبيراً من الاهتمام، وقد تجلّت تلك الشخصية في مشهدين محوريين، يحتويان على ظاهرتين شائكتين للغاية:

● **فينومينولوجيا - ظاهرة - التمييز بين الذكر والأنثى، الصادرة عن خارج الأنا والآخر، مما يجعله أحد التمثيلات الاجتماعية التي سيلبي ذكرها، وذلك في قولها: "لماذا يميزون أخي عليّ في الطعام، والملابس، وهدايا العيد، والحرية في الخروج من البيت؟ لماذا يضحك أخي بصوت عالٍ، ويحرك ساقَيْه بحرية، ويجري ويلعب كما يشاء.**⁽⁴⁾

● **فينومينولوجيا - ظاهرة - السيطرة أو الهيمنة الذكورية، والتي تصدر عن الآخر، وقد أدركها وعي الذات في باكورة النموّ الجسدي والعقلي والنفسي، ومع خبرتها الضئيلة بفكرة أو مفهوم التحكّم والحكم، فالأول حكم عفوي لا يشترط مؤهلات، وإنما هو فرض للذات، وأما الحكم فهو يقتضي الخبرة والحكمة والقدرة، فتقول: "وكان أخي يحاول فرض سيطرته عليّ، لكنّ أبي كان رجلاً واسع الأفق، وكان يحاول أن يساوي بين البنات والأبناء.**⁽⁴⁾ ويتّضح لنا من سيكولوجية النصّ سمتان للآخر هنا- كما أوضحنا- في نفس الأنا: سمة الآخر المحبّ للسيطرة والتحكّم، رغم عدم أهليته وضعفه، وسمة الآخر الخبير المحبّ للعدالة والمساواة؛ لنضجه ووعيه.⁽⁵⁾

2. شخصية الإله الذكر:

إن الكاتبة قامت بعملية حصر استكشافية لصور متعدّدة لتمظهر الرجل في مقابل المرأة، وقد حاولت في ذلك الاستكشاف لميتافيزيقية الأنا والآخر، الوصول للنماذج العليا - الأساطير - لاستجلاب بعض الصور، فأخذت من الأديان الوثنية والسماوية ما يدعم قضيتها، ومن ذلك نجد تعددية إلهية في السرد، تحاول الصبّ في مضيق واحد، ألا وهو أن حقيقة استعلاء وأفضلية الأنا على الآخر، تم تزييفها أو طمسها وسلبها، بفعل من الدين الذي هو تشريع من الإله الذكر.. ومن الآلهة الذكور في السرد:

● **توفون:** استحضرت الكاتبة صورة (توفون) الذكر، في مقام المقابلة مع (إيزيس) الأنثى، في قولها عن (إيزيس): "كانت تُعيد خلق وبناء ما قد يهدمه الرجال من أمثال (توفون)، إن (توفون) كان يرمز إلى كل ما هو غير نافع، وغير عاقل، وغير مرتّب⁽⁶⁾.. إذن فإنّ أول إله يتمتّع بصفات ذكورية في السرد ظهر في صورة (همجية).. مما يسلمنا إلى قولها: "وقد انتصرت إيزيس بعقلها ومعرفتها على الداهية توفون⁽⁷⁾.. فنجد أن مؤدّي الذكر بصفتي (الدهاء) مع (الهمجية) هو (الهزيمة)، أمام (عقلانية) الأنثى.

• **هورس:** الإله الذكري الثالث ذكره، في مقابل الإلهة الأنثى الوحيدة، يؤكّد كذلك انعكاس صورة الآخر لأصالة الذات الأنثى، فتقول: "خلقت إيزيس أوزوريس، وهو لم يكن إلا أحد نتاجها؛ لأنها أنتجت أيضًا «هورس» ابنها الذي أوجدته أو ولدته⁽¹⁰⁾.

• **زوريس:** إنه الإله الرابع والأخير في آلهة القدماء المصريين، التي استعانت بها الكاتبة في السرد، تقول: "إن «إيزيس» هي التي منحت الحركة والمعرفة لـ «زوريس»، الإله الأكبر الذي قال الرجال عنه: إنه هو الذي ولد «إيزيس» أو «أثينا» من رأسه⁽¹¹⁾. ومن ثمّ نلمح أنها تؤكّد فضل الأنثى على الذكر، وإن كان الذكر سببًا لوجودها، إلا إنها سببٌ في كماله..

• **إله الأديان السماوية:** بعدما استحضرت الكاتبة صورًا للمقارنة بين الأنا والآخر في تجليات ظلال أسطورة (إيزيس)؛ قفزت بالسرد الفني إلى قصة آدم وحواء، لتعلن أنّ الفضل لحواء على آدم، في أنها سبقته للأخذ من شجرة المعرفة، حتى كادا يصلان لشجرة الحياة، فيخلدا للأبد، ممّا أدّى إلى أن يطردهما الربُّ من الجنة. وهي لهذا تستعرض صورة الربّ الذي تسلّط على المرأة، فيظهر في منتهى العنصرية: "واستولى الرجل الذكر على العرش والقوة والأصالة، وألصق بالمرأة تُهمة الضعف والسلبية والتبعية⁽¹²⁾.

ثانياً: صورولوجيا المرأة (الأنا) عند الرجل (الآخر):

بعدما استعرضنا صورة الرجل (الآخر)، وعلاقتها بصورة الأنا أو الذات الأنثى، ووجدنا كيف أن النصّ جعل من امرأة واحدة (إيزيس) قوّة وقدرة ينقُص كلّ رجل في الأسطورة جزءً منها، ولذا منحت الأسطورة الكمال للمرأة وحدها، والنقص لكلّ الرجال. ولكن دورنا الآن هنا أن نعكس الصورة كما تشاء الكاتبة، لننظر إلى المرأة من خلال الرجل، بالاستعانة بالوسيط السردى، فنجد أنّ السرد يحمل لنا صورة ثلاثية الأبعاد للمرأة في منظور الآخر (الرجل)، وذلك من خلال قولها إن الإله الذكر قد: "ألصق بالمرأة تُهمة الضعف والسلبية والتبعية⁽¹³⁾. وتعدُّ هذه هي التيمة الأساسية الرئيسة لصورة المرأة كما يراها الرجل.

تبعية المرأة للملكية الرجل:

نحاول من خلال السرد أن نكشف عن إحدى صور الأنا عند الآخر، وبعد تعقُّب مجموعة من القضايا المطروحة، نجد أن المرأة في منظور الرجل تحوَّلت إلى (سلعة مملوكة)، وعلى ذلك يبين السرد سبب تعدُّد الزوجات، فقد "تطلَّبت الحياة الاقتصادية الجديدة... نسلاً كثير العدد لزراعة الأرض.... واقتضى ذلك تعدُّد الزوجات الذي يؤدِّي أيضاً إلى زيادة ثروة الرجل⁽¹⁴⁾، ومن ذلك تستنتج أنه قد "فرضت على النساء العفة والعذرية، والإخلاص الزوجي بكافة القوانين السماوية والأرضية الممكنة؛ حتى لا يتسرَّب إلى الرجل المالك أي شكٍّ في اشتراك طفل غريب مع أطفاله في ميراث أمواله⁽¹⁵⁾، فتري أن المرأة أحيطت بكلِّ الاحترازمات والاختبارات لتأمين عذريتها وبكارتها للرجل، وتري أن الغيرة الذكورية أحد تلك الاحترازمات، ولكن في شكل أنيق⁽¹⁶⁾.

ومن ثمَّ فإنها تعتبر أن وجود (الشكِّ) في المرأة رغم كلِّ تلك القوانين والاحترازمات هو دليل على وجود مبرر له، وهو - كما اتَّضح لي - أحقية المرأة في إشباع رغبتها الجنسية كالرجل، وتقول إن ذلك تفسير للازدواجية الأخلاقية، "والتي نبعت منذ العهود البدائية الأولى، حني استولى الرجل على المرأة اقتصادياً وجنسياً، وما نتج عن ذلك من انحدارٍ في قيمة المرأة في الدين، وفي المجتمع، وفي البيت أيضاً⁽¹⁷⁾.

وتري أن الانحدار قد وصل بالمرأة إلى البيع والشراء، حيث تحوَّلت المرأة "من قائدة للمجتمع، ينحدر منها النسب، إلى جارية وحبيسة تُباع وتُشتري، إما بيعاً واضحاً في سوق الرقيق والعبيد، وإما بيعاً مقنَّعاً بحقِّ الزواج، ولم تعد المرأة تزوج نفسها بنفسها، وإنما أصبح أبوها أو ولي أمرها من الرجال⁽¹⁸⁾. فلعلنا نلمح هنا انقلاباً تاماً على صورة المرأة التي كان لها حضور مهيم على جميع أطراف عوامل الكمال، من حيث القوة والانتصار والعقلانية والمعرفة والقيادة والبناء والترتيب والإبداع والإصلاح.. فتصير هنا المرأة أركوبة الرجل؛ ليحقق ذاته وما يطمح ويرغب، يشترها ويمتلكها، ويستحوذ عليها، ويستزيد من اقتنائها لتزداد ثروته بالمال والبنين.

ضعف المرأة واحتكار الرجل لها:

إن المرأة التي رأيناها في أسطورة إيزيس، التي تصرع الرجال وتصنعهم، نجد أنها تحولت إلى امرأة يصرعها الرجال، ويتسلطون عليها، ويملكون حقَّ إعدامها وقتلها:

• في الرومانية القديمة: من خلال السرد تظهر لنا صورة المرأة في قمة ضعفها وهامشيتها وضآلتها أما الرجل، فتقول: "وقد بلغ من سيطرة الرجل على المرأة في القانون الروماني أن الأب لم يكن له حقُّ بيع ابنته كالرقيق فحسب، ولكنه كان يملك حقَّ قتلها أيضًا، وبعد الزواج يحلُّ الزوج محلَّ الأب في السيطرة على المرأة وامتلاكها بحكم القانون⁽¹⁹⁾."

• في اليهودية: وهي ترى أنَّ مع تطوُّر المجتمعات البدائية التي لم تكن تحرِّم الزنا، جاء تحریم الزنا بمنزلة الطغيان الذكوري، فابتداء ببني إسرائيل "الذين قضاوا على المرأة الزانية بالإعدام إما «حرقًا» مثلما حاول «يهودا» مع زوجة ابنه «ثامار»، وإما «رجمًا»⁽²⁰⁾."

• في الإسلام: ترى الكاتبة أن الإسلام قد ورث حدَّ الرجم عن اليهودية، فقالت: "وقد رجمت نساء بالحجارة حتى الموت في عهد النبي محمد، وفي عهود الإسلام الأولى. وينصُّ الإسلام على أن يُرجم الزاني والزانية، لكن إباحة تعدُّد الزوجات للرجل في الإسلام، وإباحة تعدُّد العلاقات الجنسية مع الجواري والإماء مما ملكت اليمين؛ جعلت الرجال المسلمين في غير حاجة إلى الزنا..⁽²¹⁾"

• في المسيحية: اختلفت البنية الزمانية لسرد الأديان، ليتقدَّم الإسلام على المسيحية في اضطهاد المرأة واستضعافها، والسبب في ذلك هو "أن المسيحية في فجرها الأول أعلنت الجانب الأخلاقي الروحاني، وحاربت ملذَّات الحياة الجنسية⁽²²⁾.. ولكن يأخذنا السرد من جديد إلى فكرة الربِّ المعادي للمرأة، فسَلَّط عليها الكهنة الذين يمثِّلونه في الأرض⁽²³⁾."

سلبية المرأة كما يحتملها الرجل:

ومع نموّ السرد نستكشف أنّ الرجل الذي سلب من المرأة حقوقها البدائية الأولى، صار متخوفاً من استعادة المرأة لتلك الحقوق وتلك المكانة مجدداً، فيحاول توضيح أن: "التغزل في سلبية المرأة باعتبارها طبيعتها وفطرتها يعني بالضرورة هجاء إيجابيتها وقوتها، واعتبارها خارجة عن طبيعتها، أو شاذة، تستوجب الكره أو الاستقباح، أو على الأقل السخرية والتهكم".⁽²⁴⁾

المبحث الثاني: التمثيلات الاجتماعية للمرأة في رواية الوجه العاري للمرأة العربية

مدخل:

إنّ التمثيلات الاجتماعية للمرأة هي - ببساطة - استعراض لصور المرأة في منظور المجتمع، وبما أنّ الرواية قد اهتمت بتصنيف المجتمع العام إلى صنفين، الأول: المجتمع الأمومي (أو ما قبل الطبقية)، والثاني المجتمع الأبوي (أو ما بعد الطبقية)، فتقول: "وكان ارتفاع مكانة المرأة إلى حدّ حصولها على منصب الألوهية مرتبطاً بارتفاع مكانتها في المجتمع قبل نشوء الأسرة الأبوية والملكيّة، ونشوء الطبقات".⁽²⁵⁾

أولاً: تمثيلات صورة المرأة في المجتمع الأموسي والأبوسي:

هناك عدّة تمثيلات حاول النصّ إلقاء الضوء عليها في المجتمعين الأمومي، والأبوي، لتتضح لنا المفارقة بين صورة المرأة في الحاضر والماضي، وهي كما يلي:

الأفضلية بين المولود الذكر والمولودة الأنثى:

هناك إشارتان استلفتتا انتباهي في أسطورة (إيزيس): أما الأولى، فهي كون إيزيس المولودة من ذكر تعود عليه بالنفع في قولها "إن «إيزيس» هي التي منحت الحركة والمعرفة لـ «زوربوس» الإله الأكبر⁽²⁶⁾ وهو والد إيزيس، وأما الثانية فهي كون هورس الذي ولدته الأنثى قام بقتلها في قولها: "وفي أسطورة إيزيس يُروى أن ابنها «هورس» بتر رأسها، وأطاح بالتاج الملكي أو الألوهي من فوق رأسها؛ لأنها أطلقت سراح «توفون»".⁽²⁷⁾

وقد جاءت تلك الإشارتان في فصل (الإلهة الأنثى)، وكأنها كانت تعقيباً على سؤال مُلِحّ على البطلة الطفلة وهي تسأل والديها: "وما الفرق بين البنت والصبي"⁽²⁸⁾ ومن ثمّ تقفز إلى (امرأة عجوز)، وهي جدتها التي تراها رمز التشبّع بالعادات السائدة في المجتمع الأبوي، فتقول:

"قد تندخل جدتي العجوز إذا كانت قد جاءت في زيارة لنا وشهدت ذلك الحوار الذي كانت تسميه دائماً خروجاً على الأدب، وتنهرني بحدة قائلة: لم أر في حياتي بنتاً لها مثل لسانك الطويل، طبعاً أنت لست مثل أخيك، أخوك ذكر، ليتك ولدت ولد مثله⁽²⁹⁾ ومن ذلك السياق، ومن خلال سرد حوار الجدة، يظهر هدف الجدة الذي يتمثل في إسكات حوار الطفلة، ذلك الحوار المفرط في الجدل من ناحية، ويظهر أفضلية الذكر على الأنثى في معتقد المجتمع الأبوي من ناحية أخرى.

وأود الإشارة- هنا- إلى أنها جعلت ذلك الحوار على لسان (امراة) مثلها، كما جعلت من قبل أمها مشاركة وبسعادة في ختانها البشع ، وكان بإمكانها أن تجعل الجدة (جداً) الرجل، وأمها طبيياً رجلاً مثلاً، ولكن لعلها تريد الإشارة إلى أن قضية المرأة والمشكلات التي توجهها لكونها امرأة تشارك فيها وفي استمرارها المرأة نفسها، وليس الذكر وحسب. كما أشارت الكاتبة إلى نفس فكرة أفضلية المولود الذكر في المجتمع اليهودي الأبوي، بقولها: "وفرحة مولد الابن أكبر منها عند مولد البنت.⁽³⁰⁾

ثانياً: تمثيلات اجتماعية إيجابية للمرأة العربية:

أشارت الكاتبة في السرد إلى نماذج كثيرة لنساء عربيات، برزت قبل الإسلام وبعده، وهي ترى أن هؤلاء النساء قد سبقن الغرب في تحرر المرأة وذاتيتها، فتقول: "وكنتم أندهش كلما قرأت في تاريخ العرب قبل الإسلام، وفي المراحل الأولى للإسلام، عن تلك الشخصيات النسائية المتعددة اللاتي برزن في المجتمع، وعن الأهمية الكبيرة التي نالها نساء العرب، سواء في الآداب والثقافة والفنون، أو الحب والجنس، أو في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، بل منهن من برزن في السياسة والحروب والقتل، سواء قبل الإسلام أو بعده.⁽³⁵⁾

إن قضية المرأة التي تتشابك دواعيها وأسبابها ومفاهيمها باختلاف مفهوم المرأة نفسها ووظيفتها ومكانتها..

إن قضية المرأة مرتبطة بكلّ مناحي الحياة السياسية والاقتصادية وغيرها فالأنوثة مفهوم طبقي وسياسي واقتصادي.. وتتساءل: هل الأنوثة هي نعومة البشرة؟ أم التمايل والتدلل؟ أم الالتواء بأن تقول نعم وتعني لا؟ وتؤكد أن الأنوثة مسؤولية⁽³⁸⁾.

المبحث الثالث: الآراء النقدية

أولاً: آراء حول نوال السعداوي وقضايا المرأة:

إن قضية المرأة قضية شائكة جداً، وتؤرق من يتبنونها ومجتمعاتهم بمختلف أنحاءها، سواء شرقية أو غربية، ومن الباحثين من يرى أنه في نطاق الحركات الأدبية النسوية قد "لجأت بعض الكاتبات إلى التمرد على المجتمع من خلال تلك الروايات التي كسرت كل التابوهات التي وضعها المجتمع، بحيث تحررت من كل القيود وكتبت ذاتها...."⁽³⁹⁾.

ومن المفكرين والأدباء أيضاً من يرى أن من يتبنى تلك القضية من الأدباء إنما هو متأثر بالغرب، ومقلد لهم، ويسعى لإرضائهم؛ لينال من شرف تقدّمهم أن يذكر اسمه، وينال شهرة وجوائز، بتلك السبّابة أشارت الدكتورة نهى القاطرجي إلى أن نوال السعداوي تسعى لإرضاء الغرب الذي لقيها بالمناضلة، فقالت بإشارة صريحة وواضحة: "ولعل أكثر الأدبيات ترجمة هي نوال السعداوي، التي جعل منها الغربيون مناضلة من المناضلات المضحيات بحريتهن في سبيل الدفاع عن حقوق المرأة؛ ولذلك قامت تلك الأخيرة، ومن أجل إرضاء القارئ الغربي، بحذف وإضافة بعض الفصول وال فقرات من كتبها، فحذفت على سبيل المثال من الطبعة الأمريكية لكتابتها (الوجه العاري للمرأة العربية) تلك الفقرات التي تقارن بين المرأة العربية والغربية الأوروبية والأمريكية، والتي تخلص إلى أن المرأة الغربية تعاني اضطهاداً لا يقل عن العربية، بينما أضافت إليه فصل الختان، الذي يعدّ من أهم الفصول شيوعاً واستخداماً في مناهج الجامعات الأمريكية عند تدريسها قضايا المرأة العربية."⁽⁴⁰⁾.

هذا رأي يُسلط الضوء على دوافع هذه الكتابات حول المرأة، وتمثّلاتها، وتعتيم صورتها الحاضرة، ولكن من الآراء من ينظر إلى تفكير نوال السعداوي، وطريقة كتاباتها هذه، ودوافعها، على أنها مرآة تعكس الصورة كاملة، وتظهر العيوب ليتمّ إصلاحها، فيقول الدكتور حسين علي في مقالة له: "إن كتابات الدكتورة نوال السعداوي هي أشبه بالمرآة الكاشفة للعيوب والعورات، فإذا نظر شخص ما إلى المرأة، وشاهد البثور والدمامل تغطي جانباً أو أكثر من وجهه، فسوف يحزن ويغتم؛ لأن المرأة أظهرت ما يحزنه ويُجعله، وقد تنتابه رغبة جامحة في تحطيم المرأة نفسها، رغم أنها لم ترتكب إثماً سوى أنها عكست الحقيقة وأظهرتها. كذلك هو الحال مع كتابات الدكتورة نوال السعداوي؛ إذ ينفر منها كثير من الناس ويبغضها، وقد

يهاجمها بضراوة، لا لشيء سوى أنها تُظهر عيوبنا وعوراتنا الحقيقية وتكشفها⁽⁴¹⁾!! وبطبيعة الحال فإن الإنسان- رجلاً كان أو امرأة- يميل إلى التجمل، والظهور في أحسن صورة، مخادعاً ذاته، ومحاولاً بقدر الطاقة تجنّب مواجهة نفسه بمواطن ضعفه⁽⁴²⁾

ثانياً: رؤيتي للوجه العاري:

إن الكتاب مثير للجدل في مناطق شائكة للغاية، إذ إن الكاتبة وضعت يدها على كثير من أدواء هذا المجتمع، ولست أرى أن فكرة قضية المرأة شائكة بذاتها، ولكن متلازمات القضية، والزاوية والآلية التي تطرح بها هي التي تكون شائكة كثيراً، فهي مثل سلاح ذي حدين، إذا تعامى المحارب به عما يتوجّه به إليه، فربما يتسبب في قتل نفسه بيده..

إن إدراكنا لزمن الرواية الذي كتبت فيه أمر في غاية الأهمية، فقد نشرت في (1974)؛ ولذلك فإن اللون السردى ليس بحديث، وإنما يغلب عليه الطابع البحثي، وخاصة إدراج الهوامش والأفكار والأهداف في البداية.. فيبدو وكأنه مجموعة من المقالات التاريخية التحليلية.. هذا من الناحية الفنية لاعتبات النصّ.

وعلى ذكر الدين – فالشيء بالشيء يُذكر- يُلاحظ أن الكاتبة اعتمدت كثيراً على اليهودية لتمثل الأديان السماوية الثلاث في قصص مختلف فيها بين الأديان السماوية الثلاث، كما هو في:

(1) قصة آدم وحواء:

لعلّ المتأمل في تلك القصة في الأديان الثلاثة: (اليهودية، والنصرانية، والإسلام) يجد أنها متقاربة ومتباعدة إلى حدٍ كبير، كلّ منهم يتفق في طريقة الخلق لآدم ثم لحواء من آدم، ولكن يختلفون في نوع الخطيئة التي وقع فيها آدم وحواء، وليس الأمر يسيراً، وإنما ذلك الأمر هو ما حدّد فروقاً عقيدية مصيرية في كلّ ديانة، فاليهودية التي ادّعت أن حواء هي من أغوت آدم ليأكل من الشجرة والتي بلورت الكاتبة ذلك الحدث، في كون حواء هي سبب المعرفة، وليس الخطيئة التي أدت بخروجهما من الجنة، وعلى حد استشهاد الكاتبة نجد أن الربّ طردهما؛ خوفاً من أن يعيشا للأبد، وينازعاه على الملك، يسفر لنا فكرة أن اليهود لا يؤمنون بالبعث، أما الرواية الإسلامية فهي بمنزلة إبراء لحواء من تلك التهمة التي اشترك فيها آدم وحواء على حدّ سواء، بفعل من الشيطان، فأخرجهما الشيطان منها، إلا أنّ الله وعد آدم بالعودة إليها مجدداً..

المرأة في الرواية العربية المعاصرة - قراءة في التمثيلات الاجتماعية - رواية "الوجه العاري للمرأة العربية" لنوال المعداوي أنموذجاً _____ (المجلد الخامس عشر / العدد الأول / مارس 2026)

فلاحظ أن الرواية اليهودية التي اعتمدت عليها الكاتبة لتمثيل الأديان السماوية الثلاثة معاً، ما هي إلا دعامة لفكرة عداوة الإله الذكرى الميثوقة في الحديث، أما استبعادها للرواية الإسلامية فقد كان تكتماً؛ لأنني أستبعد كونه جهلاً، ما هو إلا أن الرواية الإسلامية حدّدت وخصّصت أن العداوة الحقيقية هي بين الإنسان والشیطان... وإلا فلم يخلق الربُّ من سيعاديه ويجلب له المتاعب؟!

(2) قصة الذبيح بن إبراهيم:

إن قصة الذبيح ابن إبراهيم اختلفت أيضاً بين الديانتين اليهودية والإسلامية، والرواية الإسلامية تقول إن الذبيح هو إسماعيل، وأما القصة اليهودية فتقول إنه إسحاق، وأعجّب أن الكاتبة اعتمدت على القصة اليهودية، وأهملت القصة الإسلامية رغم أنها تنتمي إلى أسرة مسلمة... وليس ذلك بالأمر الهين؛ فإن الأدلة يجب أن تكون قويّة وصحيحة وشاملة، ولا يمكن وضع الديانات الثلاث الحالية في بوتقة واحدة، ليعبروا عن بعضهم دفعة واحدة، وإنما يجب فهم كل دين على حدة، وعند عرضه يتم الاقتباس من كل واحد على حدة أيضاً.. لتتضح الرؤية وتصحّ المقارنة، ويتمّ الإنصاف للمرأة من الزوايا الثلاث. ومما أعدّه تناقضاً استدلالياً الاعتماد على الأسطورة لتصوير المرأة في الواقع.. والاعتماد على قصة آدم وحواء، وإثبات أنها أصل الخلق، ثمّ الاعتماد على ما يناقضها في النظرية الدارونية المتعلقة بتطوّر الإنسان، فأستشعر أن الكتاب قد أثار فوضى جدلية، في تتبّعه هدفاً واحداً فقط، ألا وهو صورة المرأة في كلّ زمان ومكان.

5- الخاتمة:

في الختام لا يفوتني أن أشير إلى أن ما يتناوله الأدب النسوي عن المرأة وتمثيلاتنا وصورها مضخمّ ومثار بشكل غير موضوعي، وإن المرأة نفسها إن عرض عليها ذلك ستنفر مما يُقال، وأرى أنّ فكرة المجتمعات البدائية، وما كان فيها من أساطير وقصص عن المرأة، فهي (بدائية) ومن التخلف أن نهدم ما بنيناه من نظام متكامل، ونعيش في فوضى للمساواة بين الجنسين، أو لاستعلاء الأنثى على الرجل كما لو بنى اثنان بيتاً، ثم اختلفا في أحقية كل منهما، فقاما بهدمه ليعودا إلى البداية.. بل إن المرأة إنسان تماماً كالرجل، لها ما له وعليها ما عليه، وإذا أردنا المساواة بينهما فعلياً أن نبدأ بتفكيرنا الذاتي، ولا أقوم بتقسيم العالم إلى نساء ورجال بينهما

عداوة وقتال وسجال! وأختتم بحثي بواحدة من العبارات التي أعجبتني في أثناء بحثي عن صورة المرأة في الرواية المعاصرة، تلك التي تقول، "لقد كان علينا ونحن نبحت في الرموز الدينية المتصلة بصورة المرأة أن نحفر عميقاً في المتخيل الإسلامي؛ لنعود إلى تلك الطبقة اللاشعورية، حيث تشكل الأنموذج الأعلى للمرأة، وأن نرحل عبر طبقاته التأسيسية، حيث يمكننا فك رموز ذلك النموذج. ولأننا ندرك ما طرأ على تلك النماذج العليا من تحولات ... لنصل في النهاية إلى هذه الطبقة السطحية المتمثلة في الرواية العربية المعاصرة، نبحت فيها عما ظلّ ثابتاً، وعما تحوّل من صورة المرأة.⁽⁴³⁾

وأتمنى أن أكون قد وضحت صورة المرأة في رواية الوجه العاري للمرأة العربية.

ثبت مصطلحات البحث

المصطلح العربي	المصطلح الأجنبي
الأدب النسوي	Feminist Literature
البنية السردية	Narrative structure
البنوية	structuralist
التجليات	Manifestations
التمثلات	Representations
التمظهر	Manifestation
التيمة	Theme
السرد	Narrative
السيكولوجيا	Psychology
السيمائية	structuralist
صورة ثلاثية الأبعاد	Hologram
الصورولوجيا	Photosology
ظلال الأسطورة	Shades of myth
الفيينومينولوجيا	Phenomenology
المتخيّل	The Imagined
الميتافيزيقا	Metaphysics

المراة في الرواية العربية المعاصرة - قراءة في التمثيلات الاجتماعية - رواية "الوجه العاري للمراة العربية" لنوال السعداوي أنموذجاً _____ (المجلد الخامس عشر / العدد الأول / مارس 2026

Metaphysics of the ego feminist Supreme Models (Myths) Modular thinking The Narrative Mediator	ميتافيزيقية الأنا النسوية النماذج العليا الأساطير التفكير المعياري الوسيط السردى
--	--

جدول رقم: (1)

المصدر: <https://translate.google.com>

6. الإحالات والهوامش:

- (1) معلوف لويس، المنجد في اللغة والأعلام، (ط1: دار المشرق، 1975)، ص 440.
- (2) هبة خميس، "الأدب النسوي: حين يتمرد قلم المرأة"، الصحيفة الإلكترونية، الباحثون المصريون، 15 أكتوبر 2018. <http://alantologia.com/blogs/23571> / الرابط
- (3) نوال السعداوي، الوجه العاري للمرأة العربية، (مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، 2017) ص 19.
- (4) المصدر نفسه، ، ص20.
- (5) المصدر نفسه، ، ص20.
- (6) المصدر نفسه، ، ص21.
- (7) المصدر نفسه، ، ص22.
- (8) المصدر نفسه، ، ص21.
- (9) المصدر نفسه، ، ص21.
- (10) المصدر نفسه، ، ص21.
- (11) المصدر نفسه، ، ص21.
- (12) المصدر نفسه، ، ص23.
- (13) المصدر نفسه، ، ص23.
- (14) المصدر نفسه، ، ص23.
- (15) المصدر نفسه، ، ص37.
- (16) المصدر نفسه، ، ص38.
- (17) المصدر نفسه، ، ص38.
- (18) المصدر نفسه، ، ص38.

- (19) (ينظر: المصدر نفسه ، ، ص38.
- (20) المصدر نفسه ، ص38.
- (21) المصدر نفسه ، ص41.
- (22) المصدر نفسه ، ص41.
- (23) المصدر نفسه ، ص42.
- (24) المصدر نفسه ، ص42، 43.
- (25) المصدر نفسه ، ص81.
- (26) المصدر نفسه ، ص28.
- (27) المرجع نفسه، ص21.
- (28) المرجع نفسه، ص23.
- (29) المرجع نفسه، ص20.
- (30) المصدر نفسه ، ص20.
- (31) المرجع نفسه، ص39.
- (32) المرجع نفسه، ص32.
- (33) المصدر نفسه ، ص32.
- (34) المرجع نفسه، ص32.
- (35) المرجع نفسه، ص46.
- (36) المصدر نفسه ، ص45.
- (37) نوال السعداوي، لقاء الاتجاه المعاكس – قناة الجزيرة - ما أسباب اضطهاد المرأة العربية؟
<https://youtu.be/DXF4hAnrti0>، 5/5/1998.
- (38) (هيا ناصر الشهبواني، بحث "صورة الرجل في المتخيل النسوي في الرواية الخليجية" (نماذج منتقاة) برنامج ماجستير اللغة العربية وآدابها، مسار الأدب والنقد، جامعة قطر، إشراف د.حبيب بوهروور؛ 2013. ص26. الرابط:
- (39) [https://qspace.qu.edu.qa/bitstream/handle/10576/3226/Haya Al Shahwani-Thesis.pdf?sequence=1&isAllowed=y](https://qspace.qu.edu.qa/bitstream/handle/10576/3226/Haya_Al_Shahwani-Thesis.pdf?sequence=1&isAllowed=y)
- (40) نهى عدنان القاطرجي ، الغزو الناعم - دراسات حول أثر العولة على المرأة والأسرة والمجتمع ، (لندن، دار إي - كتب، 2018) ص125.
- (41) حسين علي، "نوال السعداوي و«الوجه العاري للمرأة العربية»"، الصفحة الإلكترونية "البوابة"،
الأربعاء 15/يوليه/2020. رابطها / 0826124 <https://www.albawabhnews.com>

المرأة في الرواية العربية المعاصرة - قراءة في التمثيلات الاجتماعية - رواية "الوجه العاري للمرأة العربية" لنوال السعداوي أنموذجاً _____ (المجلد الخامس عشر / العدد الأول / مارس 2026)

(42) الطاهر الحداد، صورة المرأة في الرواية العربية، منتدى الروائيين العرب، 12-13-2003/9/14 بالنادي الثقافي، (؛ دار سحر للنشر 2005) ص 52.

7. قائمة مصادر البحث ومراجعته:

1. الحداد، ط. (2005). صورة المرأة في الرواية العربية. تونس: دار سحر للنشر.
2. خميس، ه. (2018، 15 أكتوبر). الأدب النسوي: حين يتمرد قلم المرأة. الباحثون المصريون.
3. السعداوي، ن. (2017). الوجه العاري للمرأة العربية. القاهرة: مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع.
4. السعداوي، ن. (1998، 5 مايو). لقاء الاتجاه المعاكس - قناة الجزيرة: ما أسباب اضطهاد المرأة العربية؟ [فيديو]. يوتيوب.
5. الشهواني، ه. ن. (2013). صورة الرجل في المتخيل النسوي في الرواية الخليجية (نماذج منتقاة) [رسالة ماجستير، جامعة قطر].
6. علي، ح. (2020، 15 يوليو). نوال السعداوي و«الوجه العاري للمرأة العربية». البوابة.
7. القاطرجي، ن. ع. (2018). الغزو الناعم: دراسات حول أثر العولمة على المرأة والأسرة والمجتمع. لندن: دار إي-كتب.
8. معلوف، ل. (1975). المنجد في اللغة والأعلام (الطبعة الأولى). بيروت: دار المشرق.